مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والانسانية
EL - HAKIKA (the Truth)
Journal for Social and Human Sciences

المجلد: 24/ العدد: 02/ السنة:2025 ص ص:148-163

الرؤية الأنثروبولوجية لشخصية المهدي في رواية "حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر" لعز الدين جلاوجي

The anthropological dimension of the Mahdi in a novel "Houba and the Journey of Searching for El Mehdi El Montadher" of Azzedine Jalawji

نجيب موسي [1]*، رفيقة بن لباد [2]

[1] جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب، مخبر الخطاب التواصلي الجزائري الحديث، (الجزائر)،
nadjib.moussi@univ-temouchent.edu.dz

[2] جامعة أحمد دراية –أدرار ، مخبر الخطاب التواصلي الجزائري الحديث، (الجزائر)،
rafika.Benlebbed@univ-temouchent.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2025/01/01 **تاريخ القبول:** 2025 /04/30 **تاريخ النشر:** 2025/06/05

ملخص:

بين حقلي الأنثروبولوجيا والأدب تداخل واضح في عدة مواضع، وقد تعزز هذا التداخل بشكل ملحوظ مع بروز الأنثروبولوجيا الرمزية. وهكذا، راهن رواد هذا المجال على نصية الثقافة وإمكانية قراءتها باستخدام الأساليب الحديثة المرتبطة بالأدب والنقد الأدبي. تهدف هذه الدراسة إلى تقديم قراءة إثنوغرافية للرواية، بالتركيز على نقاط التلاقي بين الحقلين المختلفين: الاجتماعي والأدبي. وتسعى الدراسة إلى استكشاف هذا التداخل في رواية "حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر" لعز الدين جلاوجي، والتي تكشف – عند قراءتها – عن حس إثنوغرافي، لما تحويه من مشاهد نابضة بالحياة ومليئة بالمشاعر والأحاسيس المتحركة. يعجز التاريخ عن كتابة مثل هذه المشاهد، لأنه لا يستطيع التوقف عند التفاصيل الدقيقة وتحليل المشاعر وتضمينها في تلك التفاصيل. فالرواية هي الفن الوحيد القادر على تحقيق هذه المعجزة. أما منهج الدراسة، فبما أنها تعتمد على قراءة النص الروائي من منظور اجتماعي مع تحليل النص تحليلًا أدبيًا، فقد اتبعت الدراسة منهجًا يجمع بين المنهج الاجتماعي والاستفادة من آليات النقد الثقافي، الذي يركز على الأنساق الثقافية المضمرة

كلمات مفتاحية: البعد الأنثروبولوجي؛ الرمزية؛ حوبة؛ المهدي المنتظر؛ عز الدين جلاوجي.

[2]**المؤلف المرسل**

Abstract:

The fields of anthropology and literature intersect in multiple ways, particularly with the emergence of symbolic anthropology. Scholars have relied on cultural texts and modern literary methods to analyze culture. Ethnographic reading of novels that focus on the intersection of social and literary fields is the primary objective of this study. This is exemplified in the novel "Hawba and the Journey to Find the Promised One" by Azza Din Jallouli, which reveals an ethnographic sensibility through vivid and emotionally charged depictions that history cannot replicate. The novel is the only art form capable of achieving this feat by focusing on theminutiae of emotions and experiences. The study utilizes a social perspective to analyze the novel while also incorporating literary analysis, combining social methodology with the insights of cultural criticism that focus on implicit cultural patterns

Keywords: The anthropological dimension**;** Symbolic; Houba; ElMehdi El Montadher ; Azzedine Jalawji.

مقدمة:

يعد التشابك بين ميادين المعرفة الإنسانية من أبرز العوامل التي دفعت إلى التداخل بين الأنثروبولوجيا والأدب، حيث بدأ كل منهما في استعارة أدوات الآخر، مما أضاف إلى كل مجال ما لم يكن ليتحقق لولا هذا التفاعل. وفي هذا السياق، تتناول هذه الدراسة تحليل رواية "حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر" للكاتب عز الدين جلاوجي، التي لاقت اهتمامًا نقديًا متزايدًا في الآونة الأخيرة، سواء في المجالات الأدبية أو الأكاديمية. ورغم ذلك، لم نجد دراسات تناولت هذه الرواية من منظور الأنثروبولوجيا، رغم غناها بالعناصر الإثنوغرافية والاجتماعية. فقد قدّم جلاوجي في روايته العديد من المعطيات الثقافية التي تتعلق بالعادات، التقاليد، وعلاقات المجتمع الجزائري، مما يجعلها مادة غنية لدراسة الأنثروبولوجيا الرمزية.

الرواية تنطلق من مرحلة ما قبل الثورة الجزائرية، وهي المرحلة التي كانت محورية في تشكيل الوعي الثوري. ومن هنا، يبرز سؤال حول دلالة شخصية "المهدي المنتظر" داخل النص: هل تمثل الفكر الثوري الذي نشأ بعد الثورة؟ أم هي رمز للشخصية الوطنية التي ألهمت هذا الفكر؟ أم أن المهدي المنتظر يشير إلى مرحلة الاستقلال؟

يظهر في الرواية تناقض لافت بين فعل "الرحلة" الذي يرمز إلى الحركة، وفعل "الانتظار" الذي يرمز إلى الثبات، مما يخلق مفارقة بين الزمن والمكان. كما أن "حوبة" في بحثها عن المهدي المنتظر تشرع في استنطاق الذاكرة والماضي، بينما يرتبط مفهوم الانتظار في الرواية بالمستقبل. الرمزية التي يتضمنها موضوع المهدي المنتظر تستند إلى الموروث العربي، لكن جلاوجي يكيف هذه الرمزية ضمن خطابه الأدبي، حيث يظهر المهدي المنتظر بين دلالتين متناقضتين: دلالة سلبية تنبثق من الخرافات الشعبية، وأخرى إيجابية تعكس الأمل والإشراق.

ومن هذا المنطلق، يتضح لنا أن الرواية تحمل روحًا أنثروبولوجية رمزية، وأنها بحاجة إلى تحليل نقدي يسلط الضوء على أبعادها الثقافية والاجتماعية. وللدخول في مادة الدراسة، كان من الضروري أن يتقدمها التنظير المنهجي، خاصة أن الدراسات الأنثروبولوجية حول الأدب لا تزال محدودة.

المبحث الأول: الأنثروبولوجيا والرِّواية

يظهر التفاوت الكبير بين الإثنوغرافيا والرواية عندما ننظر إليهما من منظور علمي. فالإثنوغرافيا هي دراسة علمية تعتمد على مراقبة وتحليل الجماعات البشرية، خاصة تلك التي تتميز بخصائص ثقافية واجتماعية تختلف عن ثقافتنا، بهدف فهم سلوكياتهم وعلاقاتهم. بينما تعتبر الرواية نوعًا أدبيًا يعتمد على بناء عوالم خيالية تدمج بين الواقع والجماليات. على الرغم من أن الرواية قد تستند إلى واقع حقيقي، إلا أنها تعيد تشكيل هذا الواقع بطريقة تمنحه استقلالًا عن أصوله (**كونديرا، 1999، صفحة 39**) .إن محاولة تقارب الإثنوغرافيا مع الرواية، كما أشار بول ريكور في دراسته حول "رواية التاريخ" و"رواية الخيال"، تفتح أفقًا لفهم العلاقة بين الأدب والواقع. فالتاريخ، رغم ارتباطه الوثيق بالواقع، يمكن قراءته وتفسيره باستخدام أدوات الأدب. وتصبح الرواية أداة لتوسيع قراءة التاريخ، حيث تتاح لها فرصة معالجة الأبعاد التي قد يغفل عنها التاريخ العلمي، مثل التفاعل الثقافي العميق والرمزية التي يصعب التقاطها في النصوص التاريخية البحتة (**عذراوي، 2012، صفحة 230**)

هذه العلاقة بين الرواية والتاريخ تنطبق أيضًا على الأنثروبولوجيا، خاصة مع ظهور الأنثروبولوجيا الرمزية أو التأويلية، التي ترى في الكتابات الأنثروبولوجية نوعًا من التأويل الثقافي. ففي هذا المجال، يعتبر النص الأنثروبولوجي بمثابة "كتابة أدبية" تتقاطع مع الأدب في تقنيات

القراءة والتحليل (**غريتز، 2009، صفحة 10**). وبالتالي، فإن الأنثروبولوجيا تصبح أداة لفهم الثقافة كتجسيد نصي، وهو ما يعكس نوعًا من التخييل الأدبي في تفسير ظواهر ثقافية.

ومن هنا، يمكننا أن نتساءل: أين يمكن تصنيف رواية "حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر" في هذا السياق الأنثروبولوجي؟ هل تحتوي الرواية على عناصر ثقافية ورمزية يمكن تفسيرها من خلال المقاربات الأنثروبولوجية الرمزية؟

المطلب الأول: حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر: مقاربة إثنوغرافية

تعد رواية "حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر" عملاً تاريخيًا يستوحي أحداثه من تاريخ الجزائر، حيث يسلط الكاتب عز الدين جلاوجي الضوء على فترة حساسة من تاريخ البلاد، وهي فترة الحركة الوطنية الجزائرية (**1920-1945**)، التي شهدت محطات مفصلية في نضال الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي. غير أن جلاوجي لا يقتصر في روايته على سرد الحوادث التاريخية كما هي، بل يسعى إلى استكشاف الأبعاد الفنية والجمالية لهذا التاريخ، محاولًا مزج الواقع بالتخيل بشكل إبداعي، ليخلق بذلك فضاءً سرديًا يدمج بين الحقيقة والخيال، ما يصعب عملية الفصل بينهما

الرواية تتخذ من شخصية "المهدي المنتظر" رمزًا للمنقذ والمخلص، الذي يعبر عن أمل الشعب الجزائري في الخلاص من الاستعمار. هذه الشخصية تتجسد في اللاشعور الجماعي كأمل في التحرر، وتظهر منذ البداية في الرواية كعلامة على بداية التحول. ففي ظل التحديات الكبيرة التي يواجهها الشعب الجزائري، يقدم جلاوجي "المهدي المنتظر" كمفتاح لقراءة أعمق للأحداث، إذ يتناغم ذلك مع حاجة الشعوب إلى أبطال أسطوريين في مراحل الأزمات الكبرى

الرواية تتألف من **557** صفحة مقسمة إلى ثلاثة فصول، حملت كل منها اسم "بوح": "أنات الناي الحزين"، "عبق الدم والبارود"، و"النهر المقدس". يتخلل السرد حوارات بين الراوي وشخصية "حوبة"، مما يعكس الحس الإثنوغرافي في تصوير المجتمع الجزائري وأرضه. تتناول الرواية الصراع المستمر بين الجزائريين والطامعين في أرضهم، وهو صراع لا يقتصر على الاستعمار الفرنسي فقط، بل يمتد ليشمل التوترات الداخلية بين العروش والمجتمعات المحلية. هذا التصوير يذكرنا بمنهج الأنثروبولوجيين الرمزيين، الذين يعتبرون الثقافة نصًا يتطلب تفسيرًا دائمًا ومفتوحًا، إذ لا يمكن للثقافة أن تكون ثابتة أو جامدة. (**غريتز، 2009، صفحة 82**)

من خلال هذه الرواية، يُعيد جلاوجي الحياة لتفاصيل قد يغفل عنها التاريخ الرسمي، مثل العادات والتقاليد التي تشكل جوهر الحياة اليومية للشعب الجزائري. يُظهر في روايته كيف أن هذه التفاصيل الاجتماعية، رغم عدم تسجيلها في التاريخ الرسمي، تمثل جزءًا لا يتجزأ من الهوية الجزائرية. الرواية إذن ليست مجرد سرد تاريخي بقدر ما هي دعوة لفهم أعمق للمجتمع الجزائري بعيدًا عن النظرة الرسمية السطحية

من خلال هذا المزج بين الخطاب التاريخي الرسمي والخطاب الشعبي غير الرسمي، يتمكن جلاوجي من تقديم صورة حية ومفصلة للواقع الاجتماعي في الجزائر. إنه يخلق تفاعلًا بين السرديات المختلفة: السرد الرسمي الذي يسرد الأحداث الكبرى، والسرد الشعبي الذي يعكس تجربة الفرد والجماعة (**عذراوي، 2012، صفحة 231**) ، بالإضافة إلى السرد الأدبي الذي يعكس رؤية الراوي الخاصة. هذه التعددية تجعل الرواية أكثر غنى وتسمح بقراءة معقدة ومركبة للثقافة الجزائرية

جلاوجي في روايته يعيد تفسير تاريخ الجزائر من الداخل، محاولًا التقاط اللحظات التي لم يُعطِ التاريخ الرسمي لها أية أهمية. فبينما يركز التاريخ الرسمي على أحداث معينة ويغفل أحداثًا أخرى، يسعى جلاوجي إلى إحياء تلك التفاصيل التي تم تهميشها، ليعيد تشكيل الذاكرة الجماعية الجزائرية ويقدم تفسيرًا جديدًا للتاريخ. فهو لا يكتفي بالسرد الخارجي للأحداث، بل ينغمس في التفاصيل الدقيقة التي تعكس التجربة الإنسانية لشعب عانى كثيرًا تحت وطأة الاستعمار، وبهذا الشكل، تنبثق الرواية كأداة لفهم الثقافة الجزائرية بشكل أعمق وأكثر تعقيدًا. جلاوجي لا يقدم لنا مجرد حكاية تاريخية، بل هو يحاول أن يعيد ترتيب الواقع الاجتماعي والنفسي للأمة الجزائرية، في سعي دائم لتعديل بعض الثوابت وإعادة بناء الهوية الثقافية من داخلها، فمثلا حين يشير إلى فجيعة مقتل "بلخير" وهو سيد عرش أولاد سيدي علي، وقبل أن يسلم روحه أوصى ابنه الأكبر وهو "الزيتوني" بأمه وإخوته قائلا : "أمّك وإخوتك أمانة في عنقك " وقد طالبت زوجته فاطمة الزهراء" بالثأر له من أولاد النش وزعيمهم "القيد عبّاس" فالعرشان "أولاد سيدي علي" و"أولاد النش" في صراع دائم على الرغم من انحدارهما من جد واحد وهو "الحسين المكحالجي". مثّل "أولاد النش" "السلطة العسكرية" التي لا تقاوم، وإذا عجزوا من تحقيق بعض طلباتهم استنجدوا "بالسلطة الحاكمة" وهي الحكام الفرنسيين، أما "السلطة الدينية" فمثلهما أولاد سيدي بوقبة وشيخهم "عمّار". (**جلاوجي، 2016، صفحة 15**). ويعكس هذا جهدًا دؤوبًا لتقديم قراءة نقدية

للتاريخ ولثقافة المجتمع من خلال الخيال الأدبي، ما يجعل الرواية واحدة من الأعمال التي تعكس بوضوح تعقيدات الواقع الجزائري

المطلب الثاني: عز الدين جلاوجي والرموز الثقافية: تحليل وتفسير في السياق الجزائري

إذا اعتبرنا الثقافة نصًا يجب قراءته بالطريقة نفسها التي نقرأ بها النصوص الأدبية، فإن ذلك يعني أنها مجال سيميائي مليء بالإشارات والرموز التي تنتظر قارئًا يصفها بشكل مكثف وفقًا لما أشار إليه غيرتز. الإنسان كائن محاط بشبكات رمزية نسجها حول نفسه، ومن هنا فإن النظر في الثقافة يعني التركيز على هذه الرموز واستخراج معانيها. بدلاً من أن يكون تحليل الثقافة علمًا تجريبيًا يسعى لاكتشاف قوانين تحكمها، يجب أن يكون علمًا تأويليًا يهدف إلى البحث عن المعنى، حيث يسعى المؤول الثقافي إلى شرح الرموز بدلاً من البحث عن كليات ثابتة (**غريتز، 2009، الصفحات 82–98**). مع تطور المفهوم السيميائي للثقافة، أصبح التحليل الثقافي والاجتماعي قريبًا من الأدب والنقد الأدبي أكثر من كونه بحثًا اجتماعيًا. بهذا الشكل، تحول الباحث الاجتماعي إلى محلل سيميائي يبحث في الأنظمة الثقافية والاجتماعية التي تغمرها العلامات والأنساق الرمزية (**يوسف، 2014، الصفحات 6–7**)

على الرغم من أن المحلل العلمي قد يثقل بالتزامات البحث الصارمة، فإن الأدباء، خاصة الروائيين، يظهرون استعدادًا أكبر لأن يكونوا قراء سيميائيين للثقافة التي تشكل مادة عملهم، وذلك من خلال الوعي بموقعهم كأعضاء في تلك الثقافة، مثل الأنثروبولوجيين الرمزيين الذين يقرؤون الثقافة من وجهة نظر حامليها. يمكن أن يكون الروائي قارئًا ثقافيًا من داخل ثقافته أو من خارجها. إذا كان من داخلها، فإنه يقدم تأويلاً من الدرجة الأولى للثقافة التي ينتمي إليها، وهو ما يتجسد في أعمال عز الدين جلاوجي. بصفته مواطنًا جزائريًا، يقدم جلاوجي تأويلاً عميقًا للتجربة الثقافية الجزائرية، مما يعكس القيم والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع الجزائري (**دورانتي، 2013، صفحة 28**)

في روايته "حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر"، يعتمد جلاوجي على أداة التوصيف الكثيف التي تتيح له تقديم فهم معمق ومفصل للسياق الثقافي الجزائري، ما يعزز قدرته على وصف الرموز الثقافية واستخراج المعاني المخفية وراءها. هذه الأداة تساعد على فهم الأشكال

الثقافية من خلال ربط الأفعال والسلوكيات الثقافية بالسياق الذي تحدث فيه، مما يتيح للقارئ الوصول إلى فهم أعمق للأبعاد الرمزية في الثقافة الجزائرية (**سرحت، 2017، صفحة 89**)

يُعدّ جلاوجي من الروائيين الذين يقدمون نموذجًا ملحميًا يجمع بين المرجعيات الاجتماعية والدينية والسياسية، كما يسلط الضوء على التوترات الاجتماعية داخل المجتمع الجزائري. من خلال وصفه الشخصيات، يقدم جلاوجي إشارات إلى التاريخ والثقافة من خلال منظور جديد، مستعرضًا الأبعاد التي لا يتم تسليط الضوء عليها في الرواية التاريخية التقليدية. لذا فإن الشخصية في رواياته ليست مجرد أداة دلالية، بل هي جزء لا يتجزأ من البناء السردي، حيث يسلط الضوء على الأبعاد النفسية والاجتماعية بشكل مركّز. مثلما نلاحظ في وصفه لشخصيات مثل العربي، الزيتوني، سي الطالب، يوسف الروج، سلافة الرومية، خليفة، سي رابح أمقران، سي الهادي، وغيرهم من الشخصيات التي دافعت عن حقوقها وبلدها حتى اندلا ع الثورة التحريرية.

لكن الرواية تتضمن أيضًا شخصيات معادية للاستعمار الفرنسي، مثل القايد عباس، عمار الشيخ، حميدة القتال، القايد جلول، السيد فرانكو الفرنسي، وغيرهم، الذين يظهرون في السياق الثقافي كنماذج للانتفاع بالاستعمار على حساب الفقراء والضعفاء. هذه الشخصيات تخلق تباينًا حادًا مع الشخصيات الوطنية، مما يفتح المجال لفهم الصراع الطبقي والاجتماعي في تلك المرحلة التاريخية (**سعودي، 2005، صفحة 7**)

في سياق البناء السردي للرواية، تترابط الشخصيات عبر علاقات معقدة تشمل القرابة والثأر الدموي والأرضي. هذه العلاقات تبرز من خلال تطور الشخصيات التي لا تقتصر على دور ثابت في الرواية، بل تتفاعل وتتشابك في نسيج سردي يعكس التوترات والرموز الثقافية. إن الرؤية التاريخية الوطنية تهيمن على النص، حيث تُقدم الشخصيات في إطار يبرز الصراع بين السكان الأصليين للاستعمار الفرنسي وأولئك الذين يتعاونون معه. فهذه الشخصيات تعكس واقعًا معقدًا، يتيح للقارئ استكشاف الثقافة الجزائرية من خلال عيون عدة أفراد، كل منهم يحمل رؤية مغايرة.

ما يعمق تجربة القارئ في هذه الرواية هو التنوع الذي يقدمه جلاوجي في بناء الشخصيات وتطوير الأحداث، مما يتيح للقراء فهمًا أشمل للسياق الاجتماعي والتاريخي الذي تشكل فيه الأحداث. بهذه الطريقة، يُعتبر جلاوجي واحدًا من الروائيين الذين يفتحون أفقًا جديدًا

لفهم التفاعلات الثقافية والاجتماعية في الجزائر، ويقدم روايته كوثيقة حية تعكس نبض المجتمع الجزائري وتناقضاته.

المبحث الثاني: التفاعل الرمزي والأبعاد السردية في الرواية الجزائرية المعاصرة

يمثل الإنسان من خلال لغته وجوده في العالم، إذ تعد اللغة أكثر من مجرد أداة للتواصل، بل هي كيان يعكس العلاقات الإنسانية والعاطفية والمعرفية. في هذا الإطار، يتحول العالم المادي إلى رموز ذات دلالات غنية تتجاوز الوصف الظاهري للأشياء. فاللغة، من خلال رموزها، تعمل على تجسيد التجارب الإنسانية التي لا يمكن التعبير عنها بالوسائل التقليدية، مما يخلق تفاعلاً دائمًا بين الفكر والوجود. ينعكس هذا التفاعل بشكل واضح في الأدب، حيث تظل الرموز محركًا أساسيًا للأدوات السردية التي يسعى الكاتب من خلالها إلى إعادة تشكيل الواقع، معيدًا فهمه وتحليله في سياقات جديدة ومختلفة.

الرمز، في هذا السياق، ليس مجرد علامة أو إشارة مستقلة، بل هو أداة تعبيرية غنية بالمعاني المتعددة التي تساهم في تجسيد التجربة الإنسانية بكل تعقيداتها. فكل رمز في النص الأدبي يحمل في طياته محمولًا دلاليًا معقدًا يتنقل بين الواقع الداخلي والخارجي، بين الذات والعالم، ويتيح للمتلقي فرصة لفك شيفرة المعاني وتوسيع دائرة التأويل. العلاقة بين الدال والمدلول تتجاوز السطح الظاهري للنص، لتغرق في غياهب تأويلات قد تكون ظاهرة أو خفية، مما يفتح المجال أمام تفسيرات متعددة يمكن أن تختلف حسب السياق الثقافي والاجتماعي للمتلقي. من هنا، يظهر الدور الحيوي للرمز في بناء معاني النصوص الأدبية، حيث يتفاعل مع الأبعاد الفكرية والوجودية ليشكل معًا وحدة سردية غير ثابتة.

اللغة في الرواية الجزائرية المعاصرة لا تقتصر على نقل الأحداث أو وصف الشخصيات، بل هي أداة تسعى للكشف عن أبعاد أعمق للوجود، حيث ينكشف من خلالها التوتر المستمر بين الذات والواقع. هذا التوتر يعكس حالة من الغموض والتشويش الذي يكتنف الوجود، والذي يصعب على اللغة العادية إظهاره. فالرواية الجزائرية، عبر الرموز، تحاول أن تنفذ إلى ما هو أبعد من الكلمات، لتعبّر عن الواقع المعقد الذي يعيشه الفرد في مجتمعه، والتحديات التي تواجهه في محاولاته لاستعادة هويته ووجوده. هذا الفهم يعكس قدرة الأدب على تجاوز التصورات المحدودة،

ليمتد إلى معانٍ شاملة تسهم في إعادة تشكيل الوعي الاجتماعي والثقافي (**غصن، 1999، صفحة 15**)

إن استعمال الرموز في الأدب الجزائري المعاصر يتجاوز رغبة الكاتب في إيجاد وسيلة للتعبير عن أفكاره ومشاعره، ليعكس أيضًا تقاطعًا بين العوالم الحسية والعقلية، الداخلية والخارجية. في هذه الروايات، يتم دمج التجربة الذاتية مع التحديات الاجتماعية والسياسية، لتظهر الرموز في ثنايا النصوص كأداة احتجاجية ووسيلة للتواصل مع العالم المعقد الذي يعيشه الأديب. هذا الاستخدام المكثف للرمزية يرتبط مباشرة بالصراع الداخلي الذي يعاني منه الفرد في مواجهة العوائق الخارجية، ويعكس سعيًا دائمًا لتحقيق التوازن بين الذات والآخر. فالرمز هنا ليس مجرد أداة فنية، بل هو تجسيد حي لهذا الصراع، حيث تتشابك الأبعاد الرمزية لتكشف عن تشويش الوجود وتعقيداته. (**حشلاف، 2000، صفحة 7**)

كما أن الرمزية لا تقتصر على تمثيل الواقع، بل تحمل أيضًا بعدًا نفسيًا وروحيًا يساهم في إثراء النص الأدبي. في الرواية الجزائرية، غالبًا ما يظهر الرمز على شكل ظلال معنوية تتنقل عبر النص، مما يمنح السرد عمقًا إضافيًا ويمنح المتلقي فرصة لاستكشاف أبعاد جديدة لا يمكن اختزالها في تفسير واحد. هذه الظلال تمنح اللغة الأدبية خصوبة متجددة، حيث تستمر الرموز في تكثيف المعاني وإثراء النصوص بتأويلات متشابكة ومعقدة (**خوجة، 2003، صفحة 119**)

إن الرمز في الأدب الجزائري المعاصر ليس ثابتًا، بل هو في حالة من التفاعل المستمر مع النصوص الأخرى، ومع الواقع الاجتماعي والسياسي المحيط. كلما تكثف الغموض وتعددت الأبعاد داخل النص، كلما ازداد النص قدرة على التعبير عن التجارب الإنسانية المعقدة. هذه التجربة الرمزية التي يشهدها الأدب الجزائري تتسم بالانفتاح على الاحتمالات اللانهائية، مما يخلق نصوصًا غير محددة، تتيح للمتلقي حرية التأويل والتفسير. في هذا السياق، يبقى الرمز قوة دافعة تشجع على التفكير النقدي، وتتيح إمكانية فهم أعمق للأبعاد الاجتماعية والثقافية التي تشكل العالم الذي نعيش فيه (**حشلاف، 2000، صفحة 25**)

من خلال هذا التفاعل بين الرموز والأبعاد المعنوية، يصبح النص الأدبي مجالًا مفتوحًا لتفكيك الأنماط التقليدية للتفكير والتفسير. تساهم الرموز في إعادة بناء المعاني المتعارف عليها، وتحفز القارئ على البحث عن المعاني الكامنة خلف السطح. وفي الوقت نفسه، تساعد الرمزية

على خلق فضاءات للبحث والتأمل، حيث لا توجد إجابات نهائية، بل تظل الأسئلة مفتوحة لاستكشاف معاني جديدة قد تظل غامضة وغير محددة. هذه الديناميكية بين الغموض والوضوح، بين الحسي والمعنوي، تجعل من الرمز أداة أساسية في تشكيل النصوص الأدبية التي تعكس تعقيدات الواقع وحقيقة الوجود (**خوجة، 2003، صفحة 121**)

المطلب الأول: التعدد الدلالي للرموز

يعد التعدد الدلالي للرموز في النص الأدبي من السمات الأساسية التي تميز الأدب وتمنحه غنىً دائمًا في معانيه وإمكانات تأويله. حيث لا يُنظر إلى النص الأدبي كمجرد تمثيل للواقع، بل هو عملية بناء لغوي مليء بالرموز التي تتعدد دلالاتها وتفتح المجال لقراءات مختلفة تتسم بالتجدد والتنوع. هذا التعدد في الدلالات يعكس العلاقة بين النص والمجتمع والتاريخ الذي يُنتج فيه، ما يجعل النص الأدبي مجالًا مفتوحًا للتفسير المستمر.

إن النص الأدبي يعتمد على "الرمز" كأداة تحمل أكثر من معنى، بحيث يتنقل القارئ بين معانيه الظاهرة والمعاني العميقة التي تتبدى عبر تأويلاته الخاصة. وقد أشار الباحثون إلى أن الأدب لا يكون متماسكًا إلا عندما يكون لهذه الرموز قدرة على التفاعل مع النصوص المختلفة ومع القراءات المتنوعة، وهو ما يتيح تكوّن شبكة معقدة من المعاني التي تتيح للقارئ أن يكتشف أبعادًا جديدة مع كل قراءة جديدة. وهذا ما أكده "فؤاد" حيث بيّن أن النص الأدبي هو "تعبير ديناميكي" تتعدد فيه الدلالات، وهذا التعدد لا يتضح إلا من خلال تفاعل القارئ مع النص في لحظات قراءاته المختلفة (**فؤاد، 1985، صفحة 348**)

من جهة أخرى، يرى "بارت" أن النص الأدبي يحمل في طياته طاقة مستمرة من التفسير، حيث يظل القارئ في حالة بحث دائم عن المعاني التي لا تُحصر. فالنص لا يتوقف عن تقديم معاني جديدة مع كل تأويل أو سياق مختلف، مما يضفي عليه صفة الديمومة والتطور. ويمكننا أن نلحظ هنا أن النص الأدبي يتجاوز المعنى الحرفي للكلمات، ليتحول إلى ساحة للمعاني المتعددة التي تتواكب مع تطور الفكر البشري واختلاف القراءات الثقافية (**بارت، 1986، صفحة 62**)

يتضح من ذلك أن التعددية الرمزية في النص الأدبي تؤدي إلى عملية تأويل مستمرة. فالنص لا يُقرأ لمرة واحدة، بل يُعاد قراءته وتفسيره عبر الأزمنة، ما يسمح له بأن يكون دائمًا متجددًا، مستجيبًا للمجتمعات والثقافات التي تتفاعل معه. ويعزز من هذا التعدد أن النصوص

الأدبية لا تتواجد بمعزل عن بعضها البعض، بل تتفاعل وتتشابك في ما يُسمى "التناص" وفقًا لما وضحه "تودوروف". لذا، يتحول النص الأدبي إلى بنية معقدة من العلاقات المتشابكة بين الرموز، سواء أكانت هذه الرموز مرتبطة بالذاكرة الجمعية أو بالثقافة الفردية التي يملكها القارئ (**العيد، 1990، صفحة 22**) وفي هذا الإطار، يمكننا اعتبار التفسير والتأويل كعمليتين منفصلتين، كما فرق بينهما "بول ريكور". إذ يُعنى التفسير بفهم المعاني الظاهرة التي يحملها النص، بينما يهدف التأويل إلى فك رموز النص واكتشاف المعاني المخفية التي قد تتجاوز الفهم السطحي للكلمات. هذه الفروقات بين التفسير والتأويل تجعل النص الأدبي مجالًا غنيًا بالإمكانات المعرفية والجمالية التي تفتح الباب لقراء متعددة، وتجعل من النص الأدبي مساحة إبداعية لا تنتهي (**ريكور، 2003، صفحة 45**)

ختامًا، يمكن القول إن التعدد الدلالي للرموز في النص الأدبي يجعل من هذا النص معقّداً، غنيًا ومتجدّدًا، ويفتح أمام القارئ أفقًا واسعًا من التأويلات المتنوعة. وهذا التعدد لا يقتصر على التفاعل بين النص والقارئ فقط، بل يتسع ليشمل التفاعل بين النص والسياقات الثقافية والاجتماعية التي ينعكس فيها.

المطلب الثاني: الرمز الديني "المهدي المنتظر": تحليل في سياق الواقع والتاريخ

تشكل عملية الترميز في الأدب إحدى أدوات الكاتب التي يعتمد عليها لإيصال أفكاره ورؤاه بطريقة غير مباشرة، متجاوزًا الكلمات المحدودة إلى فضاءات أوسع من المعاني والتصورات التي تنبع من الذاكرة الثقافية والاجتماعية. وهذا يفتح المجال أمام النصوص لتقديم رسائل متعددة الأبعاد ودلالات متشابكة، تعتمد على محتوى ذهني يختلط بالمعرفة التاريخية والثقافية، ويخضع لتأويلات غير نهائية من قبل المتلقين. من هذا المنظور، فإن الترميز لا يقتصر على وظيفة لغوية أو جمالية فقط، بل يتجاوز ذلك ليعكس أيضًا الأيديولوجيا الكامنة في النص (**عبدالرحمان، 2008، صفحة 32**). في هذا السياق، يشكل "المهدي المنتظر" رمزًا دينيًا يحمل في طياته معاني كبيرة على مستوى الذاكرة الجماعية، حيث يتمثل في المخلص الذي سيظهر في آخر الزمان ليعيد العدل ويخلص الناس من الفساد والظلم. لكن في الوقت نفسه، يحمل هذا الرمز أبعادًا أخرى تتصل بالواقع السياسي والاجتماعي في المجتمعات التي تنشد الخلاص والتغيير.

من خلال هذا السياق، يظهر كيف يعكس الكاتب في روايته الشخصية مواقفه الخاصة تجاه هذا الرمز. ففي بداية روايته، يعبر عن موقفه الرافض لفكرة "المهدي المنتظر": " أنا لا أؤمن بالمهدي المنتظر، هو مجرد خرافة رسمها خيال العامة المنهزمين تعلقا منهم بأمل ما، يشرق يوما ليهزم ظلماتهم. لكن حوبه تؤمن به وتنتظره بشوق كبير، وتظل تحكي عنه دون ملل أو كلل." (**جلاوجي، 2016، صفحة 1**). وهذا الموقف من الكاتب لا يقتصر على رفضه للمفهوم الديني التقليدي فحسب، بل يعكس أيضًا حالة الإحباط التي يعايشها الشخصية الروائية وواقع المجتمع الذي يواجه الظلم على كافة الأصعدة الاجتماعية والسياسية. يتجلى في هذا الموقف شعور الكاتب باليأس والخيبة، وهو أمر يعكس الواقع المعيش للمجتمعات التي تنتظر "المهدي" ليخلصها، بينما تكشف هذه الرواية عن عجز الأمل وانتفاء المنقذ.

علاوة على ذلك، يمكن فهم هذا الموقف في سياق فلسفي أكثر عمقًا، حيث يعكس الكاتب من خلال عباراته انعدام الإيمان في التغيير الجذري في الواقع السياسي والاجتماعي. في قراءته لهذا المفهوم، يرى الكاتب أن انتظار "المهدي المنتظر" لا يعزز من فعل التغيير في المجتمع، بل يحول هذا الانتظار إلى حالة من التواكل التي تؤدي إلى تعطيل الجهود الفردية والجماعية الساعية لتحقيق العدالة والحرية. هذا الموقف يتماشى مع ما يطرحه العديد من المفكرين حول تأثير الأساطير والرموز الدينية في تشكيل المواقف الاجتماعية، حيث يمكن أن تؤدي إلى تحجيم الفعل السياسي وتحويل الأنظار إلى المستقبل على حساب الحاضر.

ومع ذلك، فإن الكاتب لا يقتصر في تفسيره على هذا الجانب السلبي من الرمز، بل يعمل على إعادة تشكيله وتقديمه في سياق تاريخي وثقافي مختلف. في هذه الرواية، يُمكن اعتبار "المهدي المنتظر" رمزًا سياسيًا بدلًا من كونه شخصية دينية. إذ يعيد الكاتب تفسيره ليجعل منه رمزًا للقائد الذي يعكس تطلعات الشعوب في فترات الكفاح الوطني ضد الاستعمار. ففي الفترة ما بين العشرينيات والأربعينيات من القرن العشرين، كان الشعب الجزائري يعاني من الاستعمار الفرنسي، وكان ينظر إلى القائد الذي يقودهم نحو التحرر والعدالة بمثابة "المهدي المنتظر". في هذا السياق، يتم تفعيل الرمزية لتتجاوز بعدها الديني التقليدي إلى بعد سياسي يتصل بالبحث عن قيادة سياسية تتمتع بالكفاءة والإرادة لتحقيق الاستقلال (**دراج، 2004، صفحة 261**)

ويظهر هذا التوظيف الرمزي في شخصية فرحات عباس، الذي اقترح تنظيم مظاهرة سلمية في **8** مايو **1945** بدلًا من اللجوء إلى العنف. هذا الاقتراح يعكس التوجهات السلمية والسياسية لفرحات عباس الذي كان يسعى للبحث عن حلول سلمية للنضال الوطني. وكأن الكاتب من خلال اختياره لهذا الرمز يحاول أن يعيد تأويل مفهوم "المهدي المنتظر" ليعكس الحاجة الماسة إلى حاكم سياسي عادل، يرنو إليه الشعب الجزائري في محنته التاريخية. ومن هنا نجد أن الرمزية في الرواية لا تقتصر فقط على السياق الديني، بل تتجاوز ذلك إلى تعزيز مشروع سياسي اجتماعي يتطلع إلى تحقيق العدالة والحرية.

من المهم ملاحظة أن الكاتب في روايته لا يقدم هذا الرمز في صورته النمطية المعروفة. بل يسعى إلى تغيير دلالاته، حيث يظهر هذا الرمز كأداة للتفكير في الحاضر والمستقبل أكثر من كونه مجرد ربط بالماضي أو التنبؤ بمجيء حاكم مثالي. في هذا السياق، يؤكد الكاتب أن التاريخ ليس مجرد سلسلة من الأحداث الماضية التي تؤثر في الحاضر، بل هو في جوهره محاولة لفهم الواقع الراهن وتحليله من خلال مرآة الماضي. وهكذا، يُمكن اعتبار الرواية بمثابة وسيلة للبحث عن التغيير الفعلي في الواقع السياسي والاجتماعي، بدلاً من الركون إلى الانتظار السلبي لشخصية "المهدي المنتظر".

في هذا السياق التاريخي، نجد أن الكاتب يقدم قراءة نقدية للأدب الذي تناول هذا الرمز في أدب ما قبل جلاوجي، حيث كان الأدب قد أسرف في تقديم "المهدي المنتظر" كرمز ديني بحت، مما جعله يبدو قديمًا أو مكررًا في الأدب المعاصر. لذلك، يمكن اعتبار موقف جلاوجي من هذا الرمز خطوة نحو التجديد، حيث حاول تقديمه في قالب سياسي جديد. ومع ذلك، يظل هناك انتقاد موجه له في هذا الشأن، حيث أشار البعض إلى أن استخدام هذا الرمز كان من الممكن أن يتم بطرق أكثر ابتكارًا، بعيدًا عن تكرار ما قدمه الكتاب السابقون مثل واسيني الأعرج وجمال الغيطاني ورغم أن هذا الرمز كان يحمل الكثير من الإمكانات الإبداعية، فإن تكراره قد يقلل من فعاليته ويجعل تفاعله مع المتلقي أقل إثارة، الأمر الذي يطرح تساؤلات حول مدى جدوى استخدام هذا الرمز في سياق أدبي معاصر يحتاج إلى تحديات جديدة.

في الختام، يظهر "المهدي المنتظر" في رواية جلاوجي كرمز متعدد الأبعاد، حيث يعكس حالة من الانتظار الزائف الذي يتجاوز فهم الأفراد للأحداث والوقائع، كما يعبر عن رفض

الكاتب لهذه الرؤية التقليدية، ويسعى لإعادة تقديمه كرمز سياسي معاصر يعكس حاجة الشعوب إلى العدالة والقيادة الحقيقية في سياقاتها الاجتماعية والسياسية.

خاتمة

أظهرت الدراسات تداخلًا ملحوظًا بين مجالي الأنثروبولوجيا والأدب، حيث تبين أن هناك تفاعلًا معرفيًا مستمرًا بينهما، خاصة في ظل تطور الأنثروبولوجيا الرمزية كميدان متميز. هذا التفاعل سمح للباحثين بالتركيز على الجوانب الثقافية للنصوص الأدبية، ومقدرتها على التفاعل مع الأساليب النقدية الحديثة، وهو ما يبرز أهمية قراءة الأدب من خلال عدسة الأنثروبولوجيا لتقديم فهم أعمق للتفاعلات الاجتماعية والثقافية.

إن القول بالتداخل المعرفي بين الأنثروبولوجيا والأدب يشير إلى أن الكاتب ليس مجرد ناقل للأحداث، بل قارئ نشط يستخدم الأدوات السيميائية لفهم الثقافة التي يعبر عنها. سواء كان جزءًا من هذه الثقافة أو من خارجها، فإن الروائي يعتمد على سيميائية النصوص لخلق دلالات جديدة تتفاعل مع الواقع الاجتماعي والسياسي الذي يعيشه. هذا ما يتجلى بوضوح في رواية "حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر"، حيث يتمكن الكاتب من دمج السيميائية مع رؤية ثقافية عميقة لأحداث الرواية.

كما كشفت الدراسة عن البُعد الإثنوغرافي في رواية "حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر"، حيث سلط الكاتب الضوء على جوانب متنوعة من الثقافة الجزائرية: موروثاتها الشعبية، سلوكيات أفرادها، وعاداتهم وتقاليدهم، والعلاقات الإنسانية التي تربطهم في سياق اجتماعي وبيئي معين. هذا الاهتمام بالتفاصيل الثقافية يعكس قدرة الأدب على تقديم صورة حية ومتجددة للواقع الاجتماعي الذي ينتمي إليه الكاتب، حيث يستفيد من الموروث الثقافي الحي ويعيد صياغته بطريقة تتناسب مع الحاضر.

من خلال هذه الرواية، يعيد عز الدين جلاوجي تقديم مفهوم "المهدي المنتظر" بشكل جديد، مستفيدًا من الذاكرة الثقافية الجزائرية ليخلق نصًا يعكس نقدًا ذاتيًا من جهة، ونقدًا للآخر الاستعماري من جهة أخرى. هذا النص ليس مجرد انعكاس للماضي، بل هو أيضًا إشراق على الحاضر وتحدٍ للمستقبل، حيث يتحول الموروث الثقافي إلى أداة لتوجيه خطاب نقدي يتجاوز حدود الزمن ويعيد صياغة العلاقات التاريخية والاجتماعية والسياسية التي تربط الفرد بمجتمعه.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو منصور فؤاد. (*1985*). النقد البنيوي الحديث. بروت: دار الجيل.
2. ألسندرو دورانتي. (*2013*). الأنثروبولوجيا الألسنية (الإصدار *1*). (فرانك درويش، المترجمون) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
3. أمينة غصن. (*1999*). قراءات غير بريئة في التأويل والتّلقي (الإصدار *1*). بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع.
4. بول ريكور. (*2003*). نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى (الإصدار *1*). (سعيد الغانمي، المترجمون) الدار البيضاء المغرب : المركز الثقافي العربي.
5. رولان بارت. (*1986*). درس السيميولوجيا (الإصدار *2*). (عبد السلام بن عبد العالي، المترجمون) الدار البيضاء ، المغرب: دار توبقال.
6. سعد سرحت. (*2017*). الأنثروبولوجيا و السيمياء ، مقاربات أنثروبولوجية تأويلية في ثلاثة نصوص ثقافية اجتماعية. العراق: سلسة منشورات النون.
7. سليمة عذراوي. (*2012*). شعرية التناص في الرواية العربية. القاهرة ، مصر: رؤية للنشر و التوزيع.
8. عبد الفتاح يوسف. (*2014*). السيميائيات الثقافية تفعيل الأنساق و قمع الدلالات. مجلة فصول (*91 - 92*)، الصفحات *3-50*.
9. عبدالهادي عبدالرحمان. (*2008*). لعبة التّرميز(دراسات في الرموزو اللغة و الأسطورة) (الإصدار *1*). بيروت ،لبنان: مؤسسة الإنتشار العربي.
10. عثمان حشلاف. (*2000*). الرومز والدلالة في شعر المغرب العربي المعاصر. الجزائر: منشورات التبيين الجاحظية.
11. عز الدين جلاوجي. (*2016*). حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر. الجزائر: دار المنتهى للطابعة و النشر و التوزيع.
12. غالية خوجة. (*2003*). قلق النّص ومحارق الحداثة (الإصدار *1*). لبنان: المؤسسة العربية للدراسات و النشر.
13. فيصل دراج. (*2004*). الرواية وتأويل التاريخ (نظرية الرواية والرواية التاريخية) (الإصدار *1*). الدار البيضاء المغرب: المركز الثقافي العربي.
14. كليفورد غريتز. (*2009*). تأويل الثقافات (الإصدار *1*). (د. محمد بدوي، المترجمون) بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
15. ميلان كونديرا. (*1999*). فنّ الرواية (الإصدار *1*). (بدر الدين عروكدي، المترجمون) دمشق، سوريا: الأهالي للطابعة والنّشر والتوزيع.

16. يمنى العيد. (*1990*). تقنيات السرد الروائي. بيروت: دار الفرابي.